

الصديق الراحل (*)

اليوم عادت المواسم ، فأطرح
عبد السنين ، وألقى عبء الدهاء
خلفت في الدنيا بيئاً خالداً
ونزعت أجساداً من الأبناء
وعداً يذكرك الزمان ولم يزل
لدهم أنصاف وحن جزاء
: شوق

للأستاذ كامل محمود حبيب

من ضنى قلبي أذرف عبرات الحنين على قبر نوى فيه حبيب ،
ومن لوعة التواد أرسل زفرات الأسمى لفراقك أنت ، أيها الرجل ...
أيها الإنسان . ومن اهفة الروح أعاني البت وهو يتدفق في أعماق
دمي لأنني وجدت فقدك في قرارة نفسي ، أيها الصديق .
فقد كنت - يا صاحبي - غصناً رطيباً سما ثم ذوى
وصوحت أوراثة .

وكنت روحاً تتوهج نبوغاً أشرق وتأنق ثم خبا وانطفأ .
وكنت جذوة من عبقريات سطعت في سماء الشعر ثم همدت
وجفت ذبايتها .

وكنت في قيثارة الحياة وترأ حساك داعبته أنات الشجون
فاهتز يشدو بأنتام السماء .

كنت في قيثارة الحياة وترأ كلما أرسل لحننا حاج للحن قواد
شبح أرحم قلب طروب .

كنت في الدنيا لمة الفن ونود البقرية . فكان الريح النض
من صوغ بنائك ، وشذى عطر أفواه الرياحين من فيض جنانك ،
وبسمة الأمل الملو من لحن قيثارك ، والبهجة والشجو من سحر
براعمك .

وكنت شاباً عارماً فاض بالبشر فظني فطرب ، وشدا بالبحر
فألقى الدهر للألمان سمة ، وتضى فهما للطير إلى أنغام موده .

فيا للعجيبة فيك - يا صاحبي - وأنت كنت غصناً رطيباً
سما ثم ذوى وصوحت أوراثة .

(*) هو الشاعر البصري الحبيب المرحوم علي عمرد طه الذي همدت
قصته يد النوى وهو ما يزال في زهية العمر وشباب القلب .

صاحب الزورق جذلان استخفنه الطرب ؛ هزه نوح نايلك
فانتشى فتهادى بضرب الوجد بكفى رقة وحنان .
تألم في لجة الدنيا برنو إلى شطآننا في قاني الحائر .
صاحب الزورق قم وانظر هل بلغت الشاطئ الأمين بمدنيه
العمر في بيداء السنين ، أم أخرس الردى تم نايلك الحبيب ، وقد
وتر قيثارك الرقيق .

أم غمرت - الآن - أشجان نفسك وأفراح قلبك في كأس
مترعة من دم القلوب ... القلوب التي هدها الحزن فترافك .
قم تر سأم الشعر يندب ربه ، سأم الذن والهوى والشباب
ينادى سيده والعجيبة تقم نواحيه .

قم تر الدنيا - بعدك - خواء من مزامير الخلد ونجوى
الماشقين .

قم فلقد كنت - يا صاحبي - شاباً عارماً فاض بالبشرى
ففضى فطرب .

لدى مشرق الحياة تلاقينا ، والدنيا رخاء ودعة . فكنت
أنت ربحانة الجمع وروح المجلس وبهجة الحديث ثم مرمت الأيام
والعيش تلاق وانفراق .

ومذ أيام تلاقينا وأنت على فراش المرض ، فانسد قلبي ؛
غير أنك كنت شجاع القلب جرىء النفس ثابت الجنان .

ثم جاء النسي ... فدعنى أنشر ضف نفسي على أيدي رفاق ، فإني
قوة لأ كتم ضنى قلبي ، أو أستر لوعة قوادى ، أو أدارى لفعة روحى .

دعنى أذرف عبرات الحنين على قبر نوى فيه حبيب . دعنى أرسل
زفرات الأسمى لفراقك أنت أيها الرجل ، أيها الإنسان . دعنى

أعاني البت وهو يتدفق في أعماق دمي لأنني وجدت فقدك
أيها الصديق ...

دعنى أرق آلام نفسي بين يدي قبرك العزيز قبل أن يجرى
تيار الحياة القاسى ...

دعنى ... دعنى أشيك بنظرات الأسمى ونبضات المهّم ،
تم أناديك - وأنت في طريق الأبدية - وداعاً ... وداعاً ،
أيها الحبيب ...

كامل محمود حبيب